وعلى الرغم من انتصاره للشعراء المطبوعين وولعه بشعرهم ، لم يخف ابن شرف إعجابه بطريقة الشعراء أصحاب الصنعة ؛ فهو حين تحدث عن مسلم بن الوليد الذي رأى أن كلامه "مرصع ونظامه مصنع ، وغزله مستعذب ومستغرب ، وجملة شعره صحيحة الأصول، مصنعة الفصول قليلة الفضول".[1]

وأما أبو تمام "فمتكلف إلا أنه يصيب ، ومتعب لكن له من الراحة نصيب ،وشغله المطابقة والتجنيس(..) جزل المعاني ، مرصوص المباني"[2]وهكذا أوزان ابن شرف بين الشعراء المطبوعين ، وبين الشعراء أصحاب الصنعة ، فالمطبوع عمل يقوم على العفوية والتلقائية ، ويقوم على فصاحة الكلام وجزالته، وبسط المعاني وإبرازه وإتقان جودة الشعر ، لبما يؤدي وظيفته المتمثلة في التوضيح والإبانة، لتسهيل عملية التلقي ، واما المصنوع ؛ فيمثل في الإكثار من المحسنات البديعية، وهو ضرب يمثله مسلم ابن الوليد ، وابو تمتم وعلى الرغم من ان شرف حاول أن يوفق بين المطبوع والمصنوع، إلا أنه مع ذلك لم يخفي إنتصاره للمطبوع ،وإعجابه بشعرائه ، وخاصة البحتري الذي نهج طرفة الأوائل ، وحافظ على عمود الشعر ، ويظهر هذا جلياً في نقده لافتتاحيات شعر أبي تمام ، ويقول:"ومما يعاب من شعر الافتتاحيات الثقيلة ، مثل قول حبيب [يعني أبي تمام] أول قصيدة :

هن عوادي يوسف وصواحبه *** فعزما فقدما أدرك السؤال طالبه.

يشير ابن شرف إلى ان أبي تمام ولع بالصنعة ؛ فوقع في مثل هذه الإبتداءات لكن ابن شرف لم يوضح رأيه الصريح في قضية الطبع والصنعة ؛ فقد حاول التوفيق بين المطبوع والمصنوع.وكنا نود لو أفرد باباً خاصاً لهذه القضية الهامة التي شغلت كثيراً من النقاد في المشرق والمغرب على حد سواء .

أما حازم القرطجني ، فقد درس قضية الطبع والصنعة ، فتحدث عن النظم ، ورأى أنه يرتبط بعملية الإبداع الشعري ، يقول "النظم صناعة آلتها الطبع ، والطبع هو إستكمال للنفس في فهم أسرار الكلام ، والبصيرة بالمذاهب والأغراض التي من شأن الكلام بحسبه عملاً وكان النفوذ في مقاصد النظم وأغراضه وحسن التصرف في مذاهبه وأنحائه إنما يكون بقوة فكرية واهتداءات خاطرية تتفاوت فيها أفكار الشعراء"[3] فالنظم عند حازم- آلته الطبع؛ وهو يشمل العمل الادبي لكل منذ بدء تصور للمبدع له ، وإستحضار معانيه ، وإنتقاء عبارته ، ووصف ألفاظه إلى إختيار ألفاظه وقوافيه.

---

[1]- المصدر نفسه :ص/ 142-143.

[2]- المصدر نفسه :ص/ 135-136.

[3]- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، الطبعة الأولى ، المطبعة الرسمية ، تونس : 1966م.

إلا أن الذي ميز حازم من النقاد السابقين هو أنه درس الطبع والصنعة بوصفهما عنصرين متلازمين في مقومات الإبداع الشعري سواء أكانت بيئية خارجية أو نفسية داخلية، منطلق في ذلك بما قرأه وتمثله من موروث النقاد القدامى، او موروث الفلاسفة المسلمين شراح كتاب أرسطو أمثال ابن سينا والفرابي[1] وتنقسم المقومات الخارجية عند حازم مهيئات وأدوات وبواعث . فأما المهيئات فتحصل في وجهين يمثل فيهما الطبع والصنعة، يخص الوجه الأول الطبع ، وهو" النشئ في بقعة معتدلة الهواء ، حسنة الوضع طيبة المطاعم، أنيقة المناظر، ممتعة مما كل ما للأغراض الإنسانية به علقه"[2].ويخص الوجه الثاني : الصنعة ، وهو "التزعرع بين الفصحاء الألسنة المستعملين للأناشيد المقيمين للأوزان"[3] لأنه حسب حازم "موجه آياه لحفظ الكلام الفصيح ، ولتحصيل المواد اللفظية والمعرفة بإقامة الوزن، وأما الادوات ؛ فتنقسم إلى "العلوم المتعلقة بالألفاظ والعلوم المتعلقة بالمعاني"[4] ؛ وأما البواعث فتنقسم إلى "أطراب وإلى آمال، وكان كثيراص من الأطراب إنما يعتري أهل الرحل بالحنين إلى ما عهدوه ومن فارقوه، والآمال إنما تعلق بخدام الدول النافعة ألا تكمل تلك المهيئات للشاعر إلا بطيب البقعة وفصاحة الامة ، وكرم الدول ومعاهدات التنقل والرحلة.[5] ثم ينتقل حازم إلى معالجة الأسس النفسية للإبداع ، فيذكر أن الإبداع يقوم على ثلاثة قوى أساسية ؛ لأن الشاعر الجيد – في نظر حازم – هو الذي يتمتع بقوة نفسية خاصة لايتمتع بها غيره من الناس.[6]

والذي لا شك فيه أن حديث حازم عن قوى الإبداع : يعد إضافة من الإضافات الهامة التي تميز بها تفكيره النقدي ، لأن سراج موروث أرسطو ، وخاصة ابن سينا الذي أخذ عنه حازم معظم آراءه ، لم يتعرض لهذه القضية في معرض حديثه عن الشعر بشكل عام.

ويرى حازم أن هذه القوى هي التي تقوم بعملية التخييل الشعري ، وهي : القوة الحافظة والقوة المائزة ، والقوة الصانعة .

أما القوة الحافظة ، فهي تقابل الطبع ، كما يظهر من توضيح حازم لطبيعتها ، وبعبارة أخرى هي تلك القوة التي تكون بها :"خيالات الفكر منتظمة ، ممتازا بعضها عن بعض ، محفوظ كلها في نصابه فإذا أراد مثلاً أن يقول

---

[1]- ينظر: الدكتور صفوة أبو عبد الله الخطيب:نظريات حازم القرطجني النقدية والجمالية في ضوء التأثرات اليونانية :ص86.

[2]- منهاج البلغاء وسراج الادباء :ص/40.

[3]- المصدر نفسه :ص/40.

[4]- المصدر نفسه :ص/41.

[5]- المصدر نفسه :ص/41-42.

[6]- ينظر: الدكتور سعد مصلوح : حازم القرطجني ونظرية المحاكاة والتخيل في الشعر :ص/150.

غرضا ما في نسيب أو مديح أو غير ذلك ، وحد خياله اللائق به قد أهيته له القوة الحافظة يكون صور الأشياء مترتبة فيها على حد ما وقعت عليه في الوجود ، فإذا أحال خاطره في تصورها فكأنه احتلى حقائقها.[1]

أما القوة المائزة ، فهي القوة التي يتميز بها الإنسان ما يلائم الموضع والنظم والأسلوب والغرض مما لا يلائم ذلك، وما يصح مما لا يصح ، وتتولى القوة الصانعة العمل "في ضم بعض أجزاء الألفاظ والمعاني ، والتركيبات النظمية والمذاهب الأسلوبية إلى بعض والتدرج من بعضها إلى بعض ؛ وبالجملة التي تتولى جميع ما تلتئم به كليات هذه الصناعة[2] هذه هي القوى التي يدعو حازم إلى ضرورة توافرها في الشاعر ؛ لأنها هي أساس موهبته الشعرية وطبعه، ولكن الموهبة لا تكفي لصنع الشاعر المفحل ، إذ لابد من الدربة والثقافة والمران ، لذلك تراه يرفض الشاعر الذي يعتمد على الطبع وحده ؛ لان " الطبع قد تداخلها من الإختلال والفساد أضعاف ما تداخل الألسنة من اللحن ؛ فهي تستجيد الغث وتستغث الجيد من الكلام ما لم تقنع بردها إلى اعتبار الكلام بالقوانين البلاغية ، فيعلم بذلك ما يحسن وما لايحسن"[3].

ويضيف حازم أن العرب مع كونها أجود طبعاً وأسمى شعراً لم تكن تستغني عن الثقافة والمران، بل شعرؤها يتصلون بمن أجود منهم في صناعة الشعر ويروون عنهم ، ويقرؤون على أيديهم .

وهكذا درس حازم القرطجني قضية الطبع والصنعة ، واعتبرها صنوين متلازمين في العملية الإبداعية ، فإذا كانت الموهبة أمراً نفسياً ، فإن إدراك الصنعة ومعرفة أسرارها من الأمور الفنية الأساسية في عملية الإبداع الشعري حرصاً على . جماله الفني وطاقاته الكامنة وقيمه الخامدة .

- ولم يفرد محمد القاسم السيجلماسي باباً مستقلاً لقضية الطبع والصنعة في كتابه (المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع) ، وإنما تحدث عنها في معرض حديثه عن البلاغة وأجناسها ، يقول في مقدمة كتابه:"الحمد لله المنان علينا بشرف النطق ، المسجل لنا من حسن بيانه بإحراز فضل السبق الناهج بهذه الصنعة البلاغية والملكة البيانية إلى الوقوف على لطائف معاني تنزيله أنهج الطرق، الميسر بها على خواص عبادة أنموذجاً من معرفة وجه إعجاز نظمه كافة الخلق".[4]

---

[1]- منهاج البلغاء وسراج الأدباء :ص/42.

[2]- المصدر نفسه :ص/43.

[3]- المصدر نفسه :ص/26.

[4]- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، تحقيق علال الغازي ، الطبعة الاولى ، مكتبة المعارف ، الرباط : المغرب : 1980م :ص/179.